

يوم رَسَّات «جها نكير» في الحِجَار [2/2]: هكذا طُرِدَ الوفد الهندي مِن «بلاد اٰء»

محمد نزال

ربما توقّع (السلطان) عبد العزيز آل سعود أن أعضاء الوفد الهندي (جمعية خدّام الحرمين) سيُصيّبهم الخوف أو التردّد. أقلّه يأخذهم الخجل، مِن سلطانه، مثلاً. هم في مدينة جدّة، أيّ في البلاد التي أصبحت تحت السلطة السعودية، وذلك بعد رسالة الردّ على أسئلتهم التي وصلتهم منه، وبالتالي يَعتقد أَنَّه لا بدّ لهم الآن أن يعودوا مِن حيث أتوا، مكتفين بما حصلوا عليه أجوبة «مبهمة»... لكن هذا ما لم يحصل.

لم يكن يتوقّع السعوديون حتى ذلك التاريخ (عام 1926) أن يُخاطبهم أحد بتلك الجرأة، غير المألوفة عندهم، كما سيظهر مِن نص رسالة ردّ الوفد الهندي على رسالة الردّ السعودي. ربما كان مِن حق أعضاء الوفد أن يخشوا على أنفسهم، وهم خارج ديارهم، غرباء، في حضرة «السلطان» الذي فتك، قبل مدّة وجيزة، بأهل البلاد الأصليين، في الحِجَار تحديداً، البلاد التي هم على أرضها الآن... وقد أصبحت «سعوديّة».

الردّ على الردّ: لم نقتنع
«مِن الوفد الإسلامي الهندي إلى صاحب العظمة السلطانية» سلطان نجد وملحقاتها. السلام عليكم ورحمة الله.

استلمنا كتاب صاحب السعادة رئيس الديوان الملكي، جواباً على كتابنا الموجه إلى عظمة السلطان، أدعى فيه أنه أجاب أسئلتنا جواباً شافياً، فشكّرنا عظمته لإسراعه في جواب الأسئلة وبذل العناية السلطانية إلى كتابنا. نرجو أن عوطف عظمته، لو لاقتنا بهذه الصورة، تتم مهمتنا الأولى التي تتعلق بشأن المخابرات والمراسلات في وقت عاجل، ونبتدئ في مهمّتنا الثانية، لننهيّ بها الرحيل مِن البلاد الحجازية، وبعد ذلك نرجع إلى وطننا الهند ونرفع الأستار المُسدلة على عيون الناس مِن جهة حالات الحِجَار.

نحن محاسبكم، ولو أننا ممنونون ومتشكّرون لإسراعكم في الجواب، لكن مُتأسفون على أن أجوبة الأسئلة

كانت مختصرة ومجملة بصورة مبهمة، غير شافية للعليل، ويطهر لنا أن الأصل والمرجع الذي كان تم بيننا وبين عظمتكم في اليوم الأول تُرك في هذه الأجوبة.

كان غرضنا في ذلك اليوم أن الأخبار المشتبه والأنباء المتواترة، هيّجت مسلمي الهند، فأرسلونا لنسأل عظمتكم عن الواقع الماضية والموجودة، ونحصل على الأجوبة الصحيحة منكم، فالأسئلة التي وجهناها لعظمتكم ما كانت لسوء الطن في شأنكم، أو إثبات الذنب والإثم على ذاتكم، بل هذه الأسئلة إنما كانت لتحقيق الحال و اختيار ما قيل ويقال. نرى في الأجوبة أن المُجيب يطن - وماليه حق أن يطن - أن الأسئلة كأنها هي عين إثبات الذنب في شأن عظمتكم، ولذلك هو يجتهد في الأجوبة لرد هذا الإثبات والإلزام ويورد الاعتذار عن الذنوب المفروضة في الذهن. نحن نصرّح بعد هذا أن قصدنا الوحيد هو معرفة الأحوال الصحيحة، والتحقيق في الأمور المشتبه، فالمسؤول مـن عظمتكم أن تُبينوا لنا الواقع الحقيقية، والأمور الصادقة، وبعد ذلك وإذا كان هنالك شيء غير جائز عرضه على عظمتكم حينئذ يكون لكم الحق إمّا أن تردوه أو تُبينوا الأدلة على جوازه. أما الآن ولم تلزم شيئاً ما على عظمتكم، فذكر الأدلة للجواز أو الاعتذار شيء سابق لأوانه. ثم نحن نسأل عظمتكم بكل أدب واحترام أن تخرجوا الرب والطعنون مـن قلبكم الكريم، وتحببونا على الأسئلة الموجّهة إليكم بالترتيب المذكور في كتابنا السابق. نشكركم ويشكركم بواسطتنا مئات الآلاف من إخوانكم مسلمي الهند».

«السلطان» في ورطة

كانت هذه فقط مقدمة رسالة الرد الهندي على الرد السعودي. بات واضحًا أن أعضاء الوفد الهندي، مع إصرارهم على مطالبهم، كأصحاب حق، لديهم إصرار مماثل أيضًا على استخدام لغة طافحة باللود والاحترام، وذلك على ما درج عليه عادة مخاطبة الملوك والسلطانين، خاصة في تلك الحقبة، فضلاً عمّا يمتاز به هؤلاء الهنود مـن سعة صدر وقدرة على انتقاء مفردات «التقريب» لا «التنفير». المهم، سيُدرك عبد العزيز الآن، أكثر مـن ذي قبل، أنه أمام ورطة حقيقة، مع جماعة لا تترك له ما يمكن أن يأخذها عليها، من سوء خلق أو إساءةأمانة، مثلًا، ولكن في المقابل جماعة مُتمسكة في حق المعرفة، ذكيّة ومحنة، مع إمام فقهي وسياسي واضح، في قضية «مقدمة» تعني الأمة... وهم جزء وزان مـن هذه الأمة.

وتُكمل الرسالة الهندية بفقرات مفصلة ومتسلسلة:

حوادث الطائف:

«نُحب أن نستميحك العذر في أن نلقي على جوابكم نظراً إجمالياً، حتى يظهر مقصداً بأجل مطاهره، فنقول إن عظمتكم أثبتتم براءتكم مـن وقائع الطائف بإيراد قصة خالد بن الوليد وسيرة النبي فيها، لكن لا يخفى على عظمتكم أن الجواب كان يصح لو أزلمنا على عظمتكم مسؤولية حوادث الطائف، وكذا سألكم بعد ذلك دليلاً وجّه لبراءتكم، ولكن لمّا ما أزلمنا عليكم بشيء ما، فذكر البراءة بغير

ذكر الواقع شيء قبل وقته وأوانه. نحن نريد الأخبار الصحيحة من عظمتكم، والجواب الذي استلمناه ما أوضح لنا وقائع الطائف مطلقاً، ولا يمكن أن هذه جواباً لأسئلتنا (إلا بعضها). فنرجو أن ترسلوا أجوبة سؤالاتنا الباقية المُتعلقة بواقع الطائف.

وأما ما ذكرتم من قصة خالد بن الوليد في صدد حادثة الطائف، فنحن نُحب أن نسأل ثلاثة أسئلة في هذا الخصوص، حتى لا تطول المخابرات بيننا، فنرجو أن تجيبونا عليهم في كتابكم الآتي حتى يتمكن لنا الفهم بسهولة تامة:

والأسئلة ها هي:

- 1 - الناس الذين بعث إليهم رسول الله خالد بن الوليد كانوا مشركين أم مسلمين؟
- 2 - حين هوجمت الطائف هل كان أهلها مشركين أم مسلمين؟
- 3 - لما سمع رسول الله هذه القصة أرسل علياً عنه لمواساة بؤساء بني جذيمة، فهل أرسل عظمة السلطان من عنده أحداً لمواساة أهل الطائف؟

المسجد :

«أما ما ذكرتم من عقيدتكم في المساجد، فنحن نعترف بها والحمد لله نعتقد عليها وهذا موجب للاعتماد والطمأنينة، لكن نسأل عظمتكم أن تجيبوا أسلتنا (17، 23، 24) وأيضاً تخبروننا عن حالة مسجد الكوثر ومسجد الجن ومسجد حمزة».

المآثر الإسلامية والمزارات والقبب:

«نحن بيننما كل واحدة منها على حدة، لكن عظمة السلطان أحب أن يقرن الثلاثة كلها في الجواب، وأورد الوجوه والأدلة في مقام إظهار الأحوال وبيان الحقائق، وطلب مني دليلاً على جوازبقاء هذه الأشياء. فقبل أن نقول شيئاً في هذه المسألة، نرى من واجباتنا أن نصرح بأن صورة الألفاظ التي أوضح بها عظمة السلطان عقيدته ومذهبها، هي موجبة لكل اعتماد واطمئنان. والحق أن هذا هو مذهب كل مسلم صادق، وعلى كل مؤمن أن يتبع هذا المرجع، ولكن لم ما أقر عظمة السلطان بهدم هذه الأشياء أو الأمر بهدمها، وما ادعينا بأن أغلط أو أخطأ في فعله هذا، لا يحق لعظمته أن يطلب منا حجة على جوازبقاء هذه الأشياء. ولو أن عظمته هدم هذه الأشياء الثلاثة، أو أمر بهدمها، وهو يرى عمله هذا موافقاً لكتاب الله وسنة رسوله، فلا تظن أنه يتأمل في الإقرار على نفسه بما هو فعل أمم العالم. ونحب أن نؤكد مررارة ثانية أن مقصودنا هو طلب الحقائق والاستفسار عن الحالات الصحيحة، فأولاً لا نريد أن نستفيد من عظمته كيفية الواقع والحالات، وبعد ذلك إذا رأينا شيئاً منها ممنوعاً في الدين فنعرضه بكل صراحة على عظمته بالحجج القاطعة والبراهين اللامعة، التي أشار إليها عظمته من كتاب الله وسنة رسوله وأعمال السلف الصالح أو يقول أحد من الأئمة الأربع. ولكن قبل أن لا يثبت شيء من الأشياء، لا يمكن لنا أن نبحث مطلقاً، فعلى هذا ينبغي لعظمته أن يجيب أسلتنا ويخبرنا بأزمه هدم المآثر الفلانية والمزارات الفلانية والقبب الفلانية، ثم يُثبت جواز هدمها، وبعد ذلك يتمكن لنا أن نبيّن المواقع

التي أخطأ بها عظمته، بالبراهين والدلائل. وإنما هذا ظاهر بـأزّا نحن مسلمون ونعتقد أن عظمته أيضاً مـن المسلمين، فعلى هذا مـن الواجبات أن يكون كتاب ۲۰ وسندّه رسوله وأعمال السلف وأقوال الأئمة حاكماً فيما بيننا. والحاصل، نحن نريد أن نحصل على جواب أسئلتنا بالترتيب الذي ذكرناه في الكتاب السالف».

قبّة النبي ومزار حمزة:

«نحن نطلب السماح، ونقول بأن جواب عظمته غير مشتمل على جواب أسئلتنا، فنرجو أن تتفضلو بجوابها في الكتاب الآتي. وأما ما ذكرتم مـن عقيدتكم عن قبّة الذّبي فهو موجب للطماينة».

الحرية المذهبية:

«كذلك لم نجد في هذا الخصوص جواب أسئلتنا. نعم، إن عظمته بيـن مذهبـه وأوضـح عقـيدـه في الحرية المذهبـية، ولكن نحن نـُكررـ كلـمانـا الأولـ بأـنه لـيسـ فيـ وـسـعاـنـا أـنـ بـحـثـ فـيـ شـيـءـ قـبـلـ عـلـمـ وـقـوـعـهـ. فالـمـطـلـوبـ مـنـ عـظـمـتـهـ أـنـ يـُبـيـنـ لـنـاـ أـنـهـ مـنـ الـأـعـمـالـ الـتـيـ كـانـتـ جـارـيـةـ قـبـلـ مـجـيـئـهـ، اـعـقـادـاـ فـيـهاـ أـنـهـ مـمـنـ مـنـوـعـةـ مـنـ الشـرـيعـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ، وـبـعـدـ عـلـمـ هـذـاـ يـسـهـلـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـورـدـ الـأـدـلـةـ مـنـ الـأـصـوـلـ الـمـنـقـحةـ عـلـيـهـاـ». الأسلحة:

«ذكرتم أنـناـ سـأـلـنـاـ أـمـوـرـاـ تـعـلـقـ بـأـمـورـ الـبـلـادـ الـحـربـيـةـ وـالـعـسـكـرـيـةـ، وـبـعـضـ شـؤـونـ الـإـدـارـةـ الدـاخـلـيـةـ، الـتـيـ لـاـ يـمـكـنـ لـلـحـكـوـمـةـ أـنـ تـقـيلـ مـنـاـ أـوـ مـنـ أـحـدـ أـنـ يـسـأـلـهـاـ. بلـ فـيـ السـؤـالـ عـنـهـاـ مـدـعـاـةـ لـلـرـبـيـةـ، الـتـيـ يـحـبـ أـنـ يـجـلـنـاـ عـنـهـاـ، فـنـقـولـ: إـنـهـ لـاـ يـخـفـىـ عـلـىـ عـظـمـتـهـ أـنـ النـاسـ الـذـيـنـ يـدـخـلـوـنـ فـيـ بـلـدـ مـنـ الـبـلـادـ لـأـجلـ الـدـسـيـسـةـ الـمـشـارـ إـلـيـهـاـ، لـاـ يـُظـهـرـوـنـ مـجـيـئـهـمـ لـحـاـكـمـ الـبـلـادـ وـلـاـ يـُبـرـفـوـنـ قـبـلـ مـجـيـئـهـمـ إـلـىـ حـاـكـمـهـ، وـلـاـ يـسـأـلـوـنـ أـسـئـلـةـ تـعـلـقـ بـشـؤـونـ السـيـاسـةـ، بـلـ هـمـ يـخـفـونـ أـنـفـسـهـمـ وـيـدـسـّـوـنـ ذـواـتـهـمـ عـنـ عـيـونـ الـحـكـامـ وـأـهـلـ الـبـلـادـ. وـالـحـقـ أـنـ هـذـهـ الـأـلـفـاظـ، وـلـوـ جـرـحـتـنـاـ، لـكـنـ نـحـنـ نـعـتـقـدـ اـعـقـادـاـ تـامـاـ بـأـنـ قـلـبـ عـظـمـتـهـ صـافـ عـنـ هـذـهـ الـطـنـونـ وـالـرـبـيـبـ، وـإـلـاـ فـمـاـ كـانـ يـُلـاقـيـنـاـ بـهـذـهـ الـبـشـاشـةـ وـالـطـلـاقـةـ، وـمـاـ كـانـ يـحـفـنـاـ بـهـذـهـ الإـكـرـامـاتـ الـفـائـقـةـ، وـمـعـ هـذـاـ نـسـتـمـيـحـ مـنـكـمـ الـعـذـرـ وـنـسـأـلـ عـنـ الشـيـءـ الـذـيـ أـدـىـ بـكـمـ إـلـىـ مـاـ كـتـبـتـمـ، مـنـ أـنـ هـذـهـ الـأـسـئـلـةـ مـدـعـاـةـ لـلـرـبـيـةـ! وـقـدـ كـنـاـ سـأـلـنـاـ فـيـ مـاـ يـخـتـصـ بـالـخـزـيـنـةـ الـعـامـرـةـ، مـنـ جـهـةـ الـجـمـرـكـ وـالـسـجـائـرـ، وـهـذـاـ شـيـءـ تـنـشـرـهـ الـحـكـومـاتـ كـلـّـ سـنـةـ فـيـ جـرـائـدـهـاـ، وـمـنـ الـمـحـقـقـاتـ أـنـ فـيـ إـشـاعـةـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـخـبـارـ فـائـدـةـ لـأـمـورـ الـتـجـارـةـ وـالـسـيـاسـةـ. وـكـذـلـكـ سـؤـالـنـاـ عـنـ الـمـحـبـوـسـينـ مـنـ أـهـلـ الـحـجـازـ لـأـجلـ الشـبـهـةـ، وـعـنـ الـذـيـنـ تـرـكـوـنـ بـيـوـتـهـمـ لـاـ يـرـجـعـونـ إـلـيـهـاـ خـوفـاـ مـنـ الـحـكـومـةـ، فـإـنـاـ لـاـ نـرـىـ بـأـسـاـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـسـئـلـةـ لـأـنـهـاـ عـامـةـ فـيـ مـجـالـسـ الـحـكـومـاتـ، وـالـنـاسـ يـسـأـلـوـنـ عـنـهـاـ وـالـحـكـومـاتـ تـرـدـ الـأـجـوـبـةـ عـلـيـهـاـ لـاطـمـئـنـانـ خـواـطـرـ الـنـاسـ. وـأـمـاـ سـؤـالـنـاـ عـنـ جـهـةـ الـأـسـلـحةـ، فـمـاـ كـانـ السـؤـالـ عـنـ عـدـ الـأـسـلـحةـ كـلـّـهـاـ، الـتـيـ هـيـ فـيـ حـيـارـةـ الـحـكـومـةـ، بـلـ كـانـ عـنـ عـدـ الـأـسـلـحةـ الـتـيـ أـخـذـتـهـاـ الـحـكـومـةـ الـفـاتـحةـ مـنـ الـحـكـومـةـ الـمـغـلـوـبـةـ، وـمـثـلـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ تـعـلـنـهـاـ الـحـكـومـاتـ بـعـدـ اـخـتـتـامـ الـحـربـ بـكـلـّـ فـخرـ وـمـبـاهـةـ، وـعـظـمـةـ الـسـلـطـانـ أـدـرـىـ بـمـاـ أـعـلـنـتـ الـحـكـومـاتـ الـفـاتـحةـ بـعـدـ الـحـربـ الـعـظـمىـ

إعلانٌ طويلاً في صدد هذا، بيّنت فيها بكل افتخار عدد الأسلحة التي استولت عليها بعد خمود نار الحرب، فنرجو من عظمته بأن يُجيب عن سؤالنا هذا ويمنّ علينا».

المدارس:

«أمّا ما ذكرتم من المدارس، وعزمكم لنشر العلم وبذل العناية لرقي أهل البلاد، فشكراً عظمتكم على هذه الهمم العالية ودعاؤنا من الله تبارك وتعالى أن يوفقكم لهذا المقصود العظيم. ومع هذا نطلب من عظمتكم عدد المدارس التي كانت جارية قبل دخولكم البلاد، وعدد المدارس التي هي موجودة في هذه الأيام».

العائق مع الدول الخارجية:

«أمّا جواب الأسئلة التي وجهناها إليكم في هذاخصوص، فقد اقتصر على أن نجداً مستقلّة استقلالاً تاماً، في داخليتها وخارجيتها، وبأن عظمتكم ما عقدتم أيّ معاهدة تتعلق في شؤون الحجاز. لكن لا يخفى على عظمتكم أن مجرّد هذا القول لا يشفي غليلنا، ولا يُريح خواطernا، وأن عظمتكم كنتم وعدتم بأنكم تُثبتون هذا بالشهادات المكتوبة، فالآن طالب، بكلّ صراحة، إيفاء ذلك الوعد. ولا يخفى على عظمتكم أهميّة المسألة، ومما ينبغي أن نذكر في هذه المسألة هو أن معاهدة سنة 1916 ومعاهدة سنة 1922 اللتين نشرتهما جرائد العالم، وكتبوا عنهما ما كتبوا، وانتقدوا منها ما انتقدوا، جعل العالم الإسلامي يرتتاب في عظمتكم، ويشكّ شكوكاً زُحبّاً أن نجلّكم عنها. فنرى من واجباتنا أن نُصرّح أنه ينبغي لعظمتكم التصريح في هذا الشأن، إمّا ببني المعاهدين أو بوجودهما، حتى تتفق كلمة المسلمين في شأنكم ويزول سوء التفاهم من بينهم. وأمّا ما ذكرتم من معاهدة البحرة وحدة بأنها لا تتعلق بشأن الحجاز مطلقاً، بل هي مقتصرة على المسائل المشتركة بين العراق ونجد وشرق الأردن ونجد، فهذا يُخالف ما جاء في صورة المعاهدة المنصورة في الجرائد المصريّة والسوسيّة والهنديّة، والنّاس مختلفون فيها. فمنهم من يصدق أقوال الجرائد ومنهم من يجلّ عظمتكم عن هذه المعاهدة، ونرى من المستحسنات أن تبيّنوا لنا صورة هذه المعاهدة، حتى يتمكّن العالم الإسلامي بواسطتنا من علمها ومعرفة ما فيها، ويخرون من ورطة الوهم والشكّ. وأمّا السكوت على هذه المسألة أو عدم الرضا على إرادة المعاهدة فشيء يوجب الريب في صدور الناس من عظمتكم، ولا نرى في هذه العبارة أن نصدق الجرائد. وذكرتم أن المعاهدة مقتصرة على حدود نجد، فنرجو أن توضحوا لنا حدود نجد التي تمتد في هذه المعاهدة».

معان:

«وقد علمنا مما ذكرتم في خصوص أن الملك علي (نجل الشريف حسين) سلام هذين البلدين لأخيه عبد الله الذي ما هو إلا يد عاملة لبريطانيا، ولكن ما بيّنتم لنا هل عظمتكم احتجتم على هذه المسألة أم لا. فإن تسلّط غير مسلم على جزء من الحجاز أمر لا ينبغي أن يُسكت عليه مسلم، فإذا كنتم عظمتكم احتجتم فذرّيد مطالعة صورة الاحتجاج».

مصير الحجاز:

«الأسئلة التي وجّهناها في هذا بخصوص ما وجدنا جوابها، إلا أن عظمة السلطان بيّن أنه ترك هذا الأمر لأهل الحجاز، فإن كان هذا صحيحاً فنرجو عظمته أن يخبرنا عن آراء أهل الحجاز وكيف أخذت هذه الآراء، ثم ما هو نوع العمل الذي جرى عليه حضرة السلطان بعد أخذ الآراء؟».

المؤتمر الإسلامي:

«وأمّا ما ذكرتم عن المؤتمر الإسلامي، بأنكم تُرحبون به متى صمّم المسلمون على ذلك ليبحثوا في ما يؤمّن راحة الحجاج ورفاهيتهم في هذه الديار المقدّسة، فإنما هو يختلف مع إعلانكم الرسمي الذي وعدتم فيه أنكم تُريدون أن تتركوا مسألة مصير الحجاز إلى المؤتمر الإسلامي. ونرى من واجباتنا أن نوجّه أنظاركم إلى إعلانكم السابق في هذا الخصوص، ونرجو أن ترجعوا إليه وتوفوا بعهدم: «أوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً». فالمسؤول من عظمتكم أن تخبرونا هل أنتم دعوتם نواب المسلمين للمؤتمر أم لا، فإن كنتم دعوتهم فتفصّلوا اعطونا صورة الدعوة، وإلا فأخبرونا هل أنتم مستعدّون لقبول قرار المؤتمر بمصير الحجاز متى انعقد؟».

الخاتمة:

«والآن نختم كتابنا ونسأل عظمتكم، بكلٍّ أدب واحترام، أن تُخرجوا الطنون والريب من جهتنا من صدوركم، وأفيدونا عن جواب أسئلتنا حتى نطلع على الأحوال الصحيحة والواقع الصادقة، وبعد ذلك نوافقكم في ما نراه موافقاً للدين والإسلام ونخالفكم في ما نراه مخالفًا للدين والإسلام. وعلى كل حال، لا نترك إن شاء الله المرجع الأصلي في كلامنا، نعني به كتاب الله وسند رسوله وسند السلف الصالح وأقوال الأنمة الأربع، وتقبّلوا فائق الاحترامات ومزيد الثناء».

مع هذه الرسالة، كان قد مضى 12 يوماً على وصول الوفد الهندي إلى مدينة جدة، حيث أقاموا بضيافة «السلطان» عبد العزيز. مضت 6 أيام ولم يتلق الوفد أي رد، فكان لا بد من رسالة تذكير، وقد أرسلوها. لم يأتهم الرد إلا بعد 25 يوماً على رسالة التذكير!

ليس عندنا إلا ما قلناه

بعد التأخير، الذي بدا أشبه بالتجاهل، ها قد جاء الردّ السعودي:

«الحكومة الحجازية والسلطنة النجدية وملحقاتها. من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود إلى جانب الأجلاء الكرام المحترمين صدر الوفد (الهندي) الإسلامي. أما بعد، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ورد علينا كتابكم، وما ذكرتم حضرا لكم كان معلوماً. أما جوابه الحقيقي فليس له عندنا جواب غير ما عرضناكم به سابقاً. ولكن زُكر لكم بعض ما بدا لنا هذه الساعة، أمّا من جهة ما نُسب إلينا من هتك المحارم وهدم المساجد والأمور التي يُحرّرها الشعّ، فنقول: ذلك سبحانه هذا بهتان عظيم، لأن إن

شاء الله عقידتنا الإسلامية، وشيمتنا العربية، تنهينا نحن عن ذلك. وأمّا مسألة القبور والاعتقادات واستعمال المحرّمات التي تنهي عنها، فمعلوم عن حضراتكم أن هذه اعتقادات دينية، والمرجع إليها كتاب الله وسند رسوله. وأي وقت تريدون زُقابل بينكم وبين أحد علماء أهل نجد، وتتفاوضون معهم في ذلك، والصواب مع من شهد له كتاب الله وسند رسوله في جميع الأمور الدينية، قليلها وكثيرها. هذا في الأصل، وأمّا الفروع فالمرجع إلى مذاهب الأئمة الأربع وكل ما حرق عليهم، فهو إن شاء الله حق».

الهنود: قبلنا التحدّي

«من الوفد الإسلامي الهندي إلى صاحب العظمة سلطان نجد وملحقاته... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أمّا بعد، فقد تشرّفنا بكتابكم الكريم فشكروا حسن توجهات عظمتكم، وعلمنا مما ذكرتم عظمتكم أنكم ترغبون في مباحثات مذهبية، وتريدون أن تبيّنوا الأدلة الشرعية والبراهين القاطعة على جواز هدم مسجد الكوثر ومسجد الجن ومقابر سيدنا حمزه والمقابر والقبب ومطالع التلف والتدخل في الحرية المذهبية؟ ما شئتم بوقوع هذه الأشياء كلّها. فنحن باسم القوة الدينية نحب أن نسمع تلك الحجج والأدلة، فنطلب من عظمتكم أن تُعيّنوا أحداً من أحسن وأجر علماء نجد حتى نتفاوض معه. لكن زُحبّ أن نُصرّح برغبتنا بأن تكون المفاوضات والمباحثات كلّها في صورة الكتابة، وأن يصل جواب كتبنا في أربعة أيام حتى لا تطول مدة سفرنا، وأن يُطأطئ كل واحد منّا (نحن وعظمتكم) على القول الثابت والنتيجة المتفق عليها».

وزُحبّ أن يُذكر مرّة ثانية بأن نحرص على مطالعة صور المعاهدات التي أبرمت سنة 1916 وسنة 1922 ومعاهدة جدة والبحر، لأننا سمعنا أن بريطانيا أعلنت صورة هذه المعاهدة في جرائدنا، ولو كانت هذه المعاهدة كما أعلنت بريطانيا فلا نرى بأساس في اطلاعنا على صورتها، ولو رفضتم عظمتكم قولنا هذا فنحن معذورون في تكذيب المعاهدات المنصورة من بريطانيا على صحفها... ونعتقد بأن في المعاهدات شيء خفي وسرّ مكنون تأبه حميّة عظمة السلطان نشرها. في الختام تقبلوا منا فائق الاحترام».

«اخروا من هذه البلاد!»

بعد الرسالة الأخيرة من الوفد الهندي، حصل لقاء مباشر بين أعضاء الوفد وممثلين لـ«السلطان» عبد العزيز، في جدة، كان على رأسهم المستشار حافظ وهبة (أحد أبرز المقربين بين من عبد العزيز وأولاده الذين خلفوه إلى حين وفاته). في اليوم التالي بعد اللقاء، أرسل الوفد الهندي رسالة تضمّنت مطالبهم، التي كانوا ذكروها سابقاً، مع تفصيلات إضافية، وذلك بحسب ما اتفقوا عليه مع وهبة. إلى هنا كان قد «طفح كيل» عبد العزيز، وضاق بالوفد ذرعاً، ولم يعد يتحمل منهم كلمة إضافية، فنصل إلى نهاية الرحلة بهذه الرسالة التي أرسلها إليهم:

«حضره الفاضل المحترم السيد حبيب (رئيس الوفد الهندي)...»

بعد التحيّة، أتشرف بأن أخبركم بأن الحكومة الحاضرة قد أوسعـت صدرها لكل ما أبديتـم من الآراء

والأفكار، سواء كانت مُخالفة لخطتها أو موافقة لها، احتراماً للحرية الشخصية وحملأً لكم على حُسن النية. ولكن تلك الحرية المطلقة انقلبت إلى فتن ودسائس تعمل ضدّ النظام العام، فالحكومة بما لها من الحق المطلق في حفظ النظام، وبما وقفت عليه من سعيكم إلى الشغب وإلى حمل الناس على الفتنة، وعملكم ليث روح الكراهيّة، فحرصاً لسلامة البلاد من الفتن والإخلال بالنظام... قررت إخراجكم من البلاد وقد أمرت بأمور الصاينة بتنفيذ هذا الأمر».

كان لافتاً أن هذه الرسالة، المؤرخة في 15 شعبان سنة 1344 (هـ)، حملت توقيع «فيصل، نائب الملك».

نُخرج من بلادك! سترون...

«من الوفد الإسلامي الهندي إلى صاحب العظمة السلطانية سلطان نجد وملحقاتها.

السلام عليكم ورحمة الله. تشرّفنا باستلام كتاب سمو الأمير الذي أمر فيه بإخراجنا من بلادك وأمان المسلمين، بزعم كوننا نسب الفتن والأضلال في هذه البلاد، فنحن أعضاء الوفد نقول إن هذا بهتان عظيم. والحقيقة التي فهمناها هي أن الحكومة الحاضرة ما قدرت أن تجيب أحوجة شافية على أسئلتنا، ونرى من الواجب أن نُصرّح في كتابنا الأخير هذا أن عظمتكم كنتم مشتاقون إلى مباحثة دينية في المسائل المختلفة عليها، فعرضنا الدعوة عليكم بكلّ ممنونية في هذا الخصوص، وطلبنا منكم اسم أفقه رجل عندكم للتباحث في المسائل، فالحمد لله ما وجدنا أحداً من علماء نجد يقوم بهذا الأمر الجليل ويقنعوا بالأدلة الشرعية والحجج الدينية. ونشكرك على أنه حق الحق وأثبتت الصدق. كنتم عظمتكم أرسلتكم مُستشاركم صاحب السعادة الشيخ حافظ وهبة، للتفاهم بيننا وبينكم في الأمور المختلف فيها، فعرضنا عليه شرائطنا بكلّ صراحة، وأثبتناها بأدلة دامغة وحجج قاطعة، حتى أنه سلام بكثير من أقوالنا وما رأى بداً من السكوت وعدم الإجابة عليها، وهذا من فضل الباري علينا بما هو أعطانا من قوة الإيمان على إظهار كلمة الحق، وما نريد إلا أن تكون كلمة الله هي العليا. أمّا ما أظهرتم بأننا كنا نسعى إلى الفتنة وبث روح الشغب والفساد، فيظهر ضعف هذا القول من دعوتكم لنا في حفلتكم الكريمة المملوكية اليوم، وإكرامكم لنا بإجلاسنا جانبكم والتحاطب معنا بكلّ انبساط وسعة صدر، ولما رجعنا من عندكم ما مضت إلا ساعة حتى جاء أمر سمو الأمير بإخراجنا من البلاد، فمته تأملنا هذه الأشياء كلها بعين التدبر نجد أنفسنا مضطرين أن نعتقد بأنّ بيانكم هذا ما كان إلا حيلة جعلتموها لتنفيذ أمركم، هذا ونرى من واجبنا أن نبلغكم بأننا، وإن نكن مستعدّين بكل ثبات قلب لقبول أوامركم، لكن لا يخفى عليكم أن إخراج المسلمين من بلادك، التي هي مأهولتهم وقبلتهم، بهذه الصورة، ما هو إلا استبداد مطلق لا ينبغي لمسلم أن يسكن عليه بنوع ما، بل عليه أن يقاوم جهد استطاعته هذه الأمور الاستبدادية... وسترون إن شاء الله أن العالم الإسلامي سيشاركتنا بالاحتياج على أمركم هذا، وسيستيقظ للاجتهد لاستقبال البلاد الحجازية في الأمور الدينية والشؤون السياسية.

في الختام، ندعوكم باسم الله ورسوله إلى اتباع الشريعة الغراء الإسلامية، وقطع العلائق مع الدولة

البريطانية، ووفاء العهود التي قطعتموها لجميع المسلمين في أمور البلاد الحجازية... وما علينا إلا البلاغ».

وهكذا، كان الوفد الهندي متفألاً بردود ستاتي من «العالم الإسلامي». أكثر من تسعين عاماً مضت، والحكم السعودي ما زال قائماً، وما من ردٍّ. ما حصل قد حصل... وأصبح في ذمة التاريخ.

* من أسرة «الأخبار»